من صاحبهما الأخطل وهو أمر لم نتطرق له، ولم نتمثل به في القصائد المختارة...

٣ ــ الرثاء:

يعدّ الرثاء من الأغراض التقليدية في الشعر العربي لأنه مرتبط بالنفس الإنسانية والحقيقة الأزلية التي تتجلى في أن نهاية كل كائن حي إلى الموت والزوال مما جعل الشعراء يبكون على موتاهم أو قتلاهم ويسجلون ذلك شعراً، إلا أن هذا البكاء فيه جانبان، الأول تسجيل مشاعر الراثي وإظهار لوعة حزنه وفجيعته والثاني بيان مكانة المرثي وتأبينه أي ذكر خصال الخير التي عرف بها في زمانه، من هنا صور الرثاء عناصر الخير والمثل الأعلى في المجتمع فهو مثل المديح، إلا أنه يخص ممدوحاً غائباً عن الوجود وهو المرثي. من هنا وجدنا الرثاء في العصر الإسلامي يصيبه تطور كبير في العنصرين اللذين يشكلان جوهر المرثية، ففيما يخص العنصر الأول وهو إظهار اللوعة والحزن والفجيعة فإننا وجدناه يتطور تطوراً كبيراً عند شعراء الدعوة الإسلامية إذ تختفي معالم اليأس والحزن القاتل إلى وجهة إسلامية خاصة ظهر في رثاء الشهداء إذ يشير الشعراء الراثون إلى أن هؤلاء الشهداء ما فقدوا من الحياة الدنيا إلّا ليهنأوا بالحياة الآخرة حيث ثواب الله للمجاهدين والشهداء في الجنة، ومع أن الحزن على فقد الأحبة عاطفة إنسانية لا تختلف باختلاف العصور إلا أنها كادت أن تبهت في فجر الدعوة الإسلامية لتحل محلها صورة البشرى لتلقي الشهداء ثواب الله في الجنة، وهذا يواكب طبيعة الدعوة التي اقتضت من المسلمين أن يصبروا ويجاهدوا في سبيل الله لا يثبط عزائمهم موت عزيز أو استشهاد قريب بل العكس من ذلك وجدناهم يتخذون من استشهاد المسلمين مادة ينطلقون منها لتثبيت نفوس المؤمنين على الإيمان، وتقوية عزائمهم مع اقترانه في بعض الأحيان

بالحزن - حزن النفس الإنسانية الطبيعي - فإذا أراد الشعراء بيان العنصر الثاني من عناصر المرثية وهو تعداد مناقب المرثي ومدحه بما عرف به في حياته وجدنا أثر الإسلام في هذه المناقب واضحاً حين تقترن المناقب بسيرة المرثي الإسلامية وبقربه من النبي ﷺ وأدائه واجب الشهادة والتزامه بمبادىء الدين الإسلامي الحنيف وتظهر هذه المعاني في مراثي كثير من شعراء المسلمين لقتلاهم، فهذا حسان بن ثابت يرثي حمزة بن عبد المطلب وقد قدمت ابنته تسأل عن قبره فيجيبها حسان بتأبين القتيل وذكر خصاله وتكون البداية أقرب إلى مراثي الجاهليين في البيتين الأولين حين يصفه بأن سيد قومه، شجاع مغوار في الحرب، وكريم يستبشر وجهه للعطاء وهو فوق ذلك ثابت الجنان صابر في المعارك:

تُسَائِلُ عن قَرْمٍ هِجَانٍ سَمَيْدَعٍ ... لَدَى البَأسِ مِغوارِ الصَّباحِ جَسُورُ[1]

أخي ثقةٍ يَهتَزّ للعُرفِ والنَدى ... بَعيدِ المَدى في النائباتِ صَبورُ

وإذا كان تعداد هذه الصفات على طريقة عرب ما قبل الإسلام فلأنها صفات استمرّت في العصر الإسلامي على أنها مثل عليا للرجولة والبطولة، ومع ذلك يتضح الأثر الإسلامي في الأبيات الأخرى التي تليها حين يذكر البنت المفجوعة بأبيها بأن الاستشهاد في سبيل الله راحة أبدية في الجنة، ويذكرها بصفات أبيها الإسلامية ويصفه بأنه كان وزير رسول الله وأنه أجاب دعوة الرسول وأجاب داعي الله في الجهاد فلقي ما كان يرتجيه من شرف الاستشهاد في سبيل الله والعقيدة:

فقلت لها إن الشهادة راحة ... ورضوان رب بإمام غفور

فإن أباك الخير حمزة فاعلمي ... وزير رسول الله خير وزير

دعاه إله الخلق ذو العرش دعوة ... إلى جنة يرضى بها وسرور

(١) القَرْم: السيد المعظم، الهجان: الكريم النسب، السميدع: الشجاع.

فذلك ما كنا نرجي ونرتجي لحمزة يوم الحشر خير مصير

وبعد هذه الصفات الإسلامية التي يصف بها المرثي يعود إلى إظهار حزنه وألمه لفراقه ولكنه حزن مقترن بالاستشهاد والشهادة، وما بعدها:

فوالله ما أنساك ما هبت الصبا ولا بكين في محضري ومسيري

على أسد الله الذي كان مُدرِهاً يذود عن الإسلام كل كفور

ألا ليت شلوي يوم ذاك وأضلعي إلى أضبُعٍ ينهشنني ونسور[1]

أقول وقد أعلى النعي بهلكه جزى الله خيراً من أخ ونصير[2]

وفي قصيدة أخرى تنسب إلى كعب بن مالك أو عبد الله بن رواحة ينكر الشاعر حزنه ولوعته على فقد جعفر الشهيد ولكنه يسلي نفسه بالدعاء له بالجنة، وينكر المسلمين بوجوب الصبر لأن الرسول ﷺ وهو أقرب الناس إلى الشهيد صابر محتسب الأجر في فقده لعمه:

عليك سلام ربك في جنان يخالطها نعيم لا يزول

ألا يا هاشم إلا خيارِ صبراً فكل فعالكُم حسنٌ جَميلُ

رسول الله مصطبر كريم بأمر الله ينطق إذ يقول[3]

ويقارن كعب بن مالك بين قتلى المشركين وقتلى المسلمين مقارنة قائمة على العقيدة الإسلامية فيقول بعد أن ذكر شماتة قريش بمقتل حمزة وينكرهم بقتلاهم الذين قتلهم المسلمون ببدر يقارن بين قتلى الطرفين:

شتان من هو في جهنم ثاوياً أبداً ومن هو في الجنان مخلد[4]

وتتكرر عناصر الرثاء الإسلامي في رثاء المسلمين للنبي ﷺ فقد ورد في معظم هذه المراثي ذكر صفات النبي الخلقية الزاكية وتأكيد حزن الشاعر

---

(١) مدره: زعيم.

(٢) ديوان حسان ١٠٥.

(٣) الإصابة ١/٣٥٣ ـ الاستيعاب ١/٢٧٥، شعر الدعوة ٤٤٤ ديوان كعب.

(٤) ديوان كعب ١٩١.

وألمه لفقد شخص الرسول ﷺ النبي الذي هدى الأمة إلى طريق الخير وعلمها الرسالة السماوية، أما تسلية الشعراء أنفسهم من الحزن فإنهم يذكرون ما أورده الله في كتابه الكريم من وجوب الموت، وأن لكل إنسان أجل لا يتقدم ولا يتأخر، ولكن فراق النبي ﷺ هو الذي يدعوهم إلى البكاء وقد أشار أحد الشعراء إلى أنه حين يبكي الرسول ﷺ ويتذكر مصيبة المسلمين بفقده يقول إنّا لله وإنّا إليه راجعون لأن الله تعالى ذكر في كتابه المحكم ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

فلو رد ميت قتل نفس قتلتها ... ولكنه لا يدفع الموت دافع
فآليت لا أثني على هَلَكِ هالك ... من الناس ما أوفى ثبير وفارع
ولكنني باك عليه ومتبع ... مصيبته أنى إلى الله راجع[1]

أما حسان بن ثابت فإنه يقف على الديار ويبكي الآثار ولكن أي ديار وأي آثار أهي ديار الجاهلية وآثار الحبيبة، لا أنها ديار الرسول ﷺ وآثاره التي تظهر أمام عيني الشاعر في كل درب وزاوية في المدينة المنورة التي صاحبهم فيها الرسول ﷺ فهو يقف بطيبة (المدينة) ويبكي الآثار، ولكنه بكاء لا يشبه بكاء شاعر ما قبل الإسلام، والآثار لا تشبه آثار الأحبة الراحلين، فهذه التي يبكيها حسان آثار باقية واضحة المعالم لا تزول - ولن تزول - إنها آثار النبوّة الباقية والمتمثلة بالمسجد الذي كان يجلس فيه النبي ﷺ واليوم يجلس فيه المسلمون تقرأ فيها آيات الذكر الحكيم باق واضح السمات وحجرات الرسول ﷺ باقية ورسومها تتجدد ولا تندثر:

بطيبة رسم للرسول ومعهد ... منير وقد تعفو الرسول وتهمد
ولا تنمحي الآيات في دار حرمة ... بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضح آيات وباقي معالم ... وربع له فيه مصلى ومسجد

(١) الطبقات الكبرى ٢/ ٣٢٠ شعر الدوعة ٣٩٧، والشعر لعبد الله بن أنيس.

بها حجرات كان ينزل وسطها من الله نور يستضاء ويوقد
معالم لم تطمس على العهد أيها أتاها البلى فالآي فيه تجدد
عرفت بها رسم الرسول وعهده وقبراً به واراه في الترب ملحد

ثم يقف متذكراً خلق النبي ﷺ وصفاته فيعددها واحدة بعد الاخرى بنفس إسلامي ورؤية إسلامية فهو لا يرثيه لشخصه بقدر ما يرثيه بانه نبي الأمة هداها من الضلالة والجهل إلى الهدى والنور والعقيدة وأنه كان رؤوفاً بالمسلمين كثير العفو عن الزلّات عطوفاً على صغيرهم وكبيرهم تحدوه رغبة كبيرة في أداء الرسالة السماوية وهداية قومه إلى الحق، وهو أطيب الناس خلقاً وأكرمهم أصلاً وأدباً لأن الذي أدبه هو الله تعالى حين أرسل إليه النبوّة. ويختم قصيدته بأن يعزى نفسه ويؤملها باللقاء القريب مع النبي محمد في جنة الخلد[1].

هذه القيم الإسلامية التي دخلت في الرثاء تستمر في قصائد الشعراء في عصر صدر الإسلام والأموي ولكن نسبة ورودها تختلف باختلاف الشاعر واختلاف المرثي فتتجلى هذه المعاني كلما كان المرثي مرتبطاً بحدث سياسي أو ديني متلازم اسمه مع قضية من القضايا وتظهر هذه المعاني إذا كان الشاعر متمثلاً لها واعياً لأهميتها وتأثيرها في نفوس السامعين وتخف في بعض القصائد إذا كان الشاعر يرثي شخصاً قلّ ارتباطه بالعناصر التي كوّنت المجتمع العربي آنذاك مثلما نراه في رثاء متمم بن نويرة لأخيه مالك، فالأخير قتل في حروب الردّة خارجاً على الدولة الإسلامية ولكن أخاه متمماً أسلم وحسن إسلامه ولم يرتد ولم يشارك في حروب الردّة ومع ذلك فقد رثى أخاه أروع الرثاء خاصة قصيدته العينية التي مطلعها:

لعمري وما دهري بتأبين هالك ولا جزع مما أصاب فأوجعا

وإذا راجعنا رثاءه لأخيه وجدناه رثاء قائماً على عناصر جاهلية إذ

(١) ديوان حسان ص ٨٩ فما بعدها.

تتوالى صور التأبين وكأن صاحبها لم يعش في الإسلام ولم يسمع بمبادئه[1]. وقد مرّ بنا تفصيل ذلك في تحليل قصيدته العينية.

وعلى أية حال فرثاء متمم بن نويرة لأخيه أو شعره عموماً لا يقاس عليه لأن العناصر الإسلامية والمثل الجديدة التي عرضناها من قبل استمرّت في السيطرة على القصيدة الرثائية مع المثل العليا التي كانت في الجاهلية وأقرّها الإسلام مثل الشجاعة والكرم والحياء.

وإذا راجعنا مراثي الشعراء للخلفاء الراشدين وجدناها تدور حول المعاني الإسلامية والصفات الخلقية التي يتّسمون بها وتقترن بصفات إسلامية أمر القرآن الكريم بالتحلي بها، فالأبيات المشهورة التي قيلت في رثاء الخليفة عمر بن الخطاب تؤبنه من خلال وصفه بالإمام - إمام المسلمين - وأن الله هو الكفيل به وهو الذي سيجازيه خيراً عن سيرته في حياته الدنيا، أما سيرته فهي العدل والبر والتقى، والحكم بين الناس بسُنّة الدين القويم:

جزى الله خيراً من أمير وباركت ... يد الله في ذاك الأديم الممزق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها ... بوائق في أكمامها لم تمزق
وكنت تشوب العدل بالبر والتقى ... وحكم صليت الدين غير مروق
أمين النبي في وحيه وصفيه ... كساه المليك جبة لم تمزق
من الدين والإسلام والعدل والتقى ... وبابك من كل الفواحش مغلق[2]

أما الخليفة عثمان فقد أضيفت في رثائه معان أخرى غير التي ذكرت في رثاء الخليفة عمر (رضي الله عنه)، وهي وصفه بالشهيد، وذكر جهاده مع شيخوخته، ومدارسته لكتاب الله، يقول تميم بن مقبل:

---

(١) راجع كتابنا مالك ومتمم بن نويرة اليربوعي (الدراسة) وراجع تحليل القصيدة في المبحث الثاني من هذا البيت.

(٢) البيان والتبيين ٣/٣٦٣، الطبقات الكبرى ٣/٣٣٣ وشعر الدعوة: ٤٣١.

ليبك بنو عثمان ما دام جذمهم ... عليه بأصلال تعرى وتخشب
ليبكوا على خير البرية كلها ... تخونه ريب من الدهر معطب
يدارسهم أم الكتاب ونفسه ... تنازعه وُثقى الخصال وينصب[1]

ويرثي أبو الأسود الدؤلي الإمام علي بن أبي طالب ويبكيه من خلال صفات الإيمان والإسلام فهو أمير المؤمنين وأقرب الناس إلى النبي ﷺ وحبيبه وصفيه، أقام الحق وكان يقرؤهم آيات القرآن ويصلي في الناس أحسن الصلاة فيكون قدوة للمسلم التقي العادل وفوق هذا وذاك فإن الخوارج قتلوه في شهر الصيام:

ألا يا عين ويحك أسعدينا ... ألا تبكي أمير المؤمنينا
وتبكي أم كلثوم عليه ... بعبرتها وقد رأت اليقينا
ألا قل للخوارج حيث كانوا ... فلا قرّت عيون الحاسدينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طراً أجمعينا
وكنا قبل مقتله بخير ... نرى مولى رسول الله فينا
يقيم الحق لا يرتاب فيه ... ويعدل في العدى والأقربينا
وليس بكاتم علماً لديه ... ولم يخلق من المتكبرينا
ولا والله لا أنسى علياً ... وحسن صلاته في الراكعينا[2]

ونتخذ من استمرار الرثاء الجديدة مثالاً أو أمثلة من أشعار الخوارج لأنهم أوردوا هذه القيم في رثائهم لقتلاهم أكثر من أي فريق آخر، فشعرهم يمثل حياتهم واندفاعهم في القتال والحرب وكأنهم نصبوا أنفسهم للموت طلباً لرضى الله وثوابه وكان كل من يقاتلونه خارج على الإسلام وقتاله ثواب والموت في حربه شهادة، وهكذا نجد أبا بلال الخارجي يرثي جماعته من

---

(١) ديوان تميم بن مقبل: ١١ فما بعدها.
(٢) ديوانه.

الخوارج الذين قتلوا في إحدى المعارك فيذكر صفاتهم على عادة شعراء الرثاء وكلها صفات لا تتجاوز خلق العبادة والتقوى فيصفهم بأنهم كانوا يقضون ليلهم بالعبادة والصلاة وأعينهم تسيل دموعاً خشية الله:

ألا في الله لا في الناس سالت ... بداود وأخوته الجذوع
مضوا قتلاً وتمزيقاً وصلباً ... تحوم عليهم خيل وقوع
إذا ما الليل أظلم ما بدوه ... فيسفر عنهم وهم ركوع
إطار الخوف نومهم فقاموا ... وأهل الأمن في الدنيا هجوع
يعالون النحيب إليه شوقاً ... وإن خفضوا فربهم سميع[1]

ويذكر الحارث بن كعب الشني صاحباً له من الخوارج فيبكيه بكاء حاراً ثم يذكر خصاله بأنه كان شجاعاً لا يخاف إلّا الله تعالى، لذلك تراه مجاهداً في سبيل إعلاء الحق في الوقت الذي تخاذل فيه غيره ورضي بحكم الجور والظلم:

أبهات قد أبلى عظامي وشفها ... وأسهر ليلي نكر عون بن أحمر
فتى كان لا يخشى سوى الله وحده ... ويطمع في معروفه كل مقتر
يجاهد في الله ابن أحمر صادقاً ... إذا ما ارتضى بالجور كل مقصر[2]

وتتكرر هذه المراثي في قتلى الخوارج، ونجد مثيلاً لها في رثاء الشعراء للحسين وأنصاره إذ أوردوا في قصائدهم كل القيم الإسلامية التي تقال في ميدان الشهادة والجهاد إلا أنها اتّسمت فضلاً عمّا ذكرناه بنسمة الحزن العميق تارة، ولوعة الثار أو تأمل من يقوم بالمطالبة بحق آل البيت تارة أخرى وهذه سمة ميزتهم عن رثاء شعر الخوارج الذين اختفت من أشعارهم هذه السمة وحلّت مكانها الرغبة في تتبّع طريق المرثي مما سنراه في تحليلنا لإحدى قصائدهم.

---

(١) شعر الخوارج: ١٢.
(٢) شعر الخوارج.

قصيدة وتحليل

قال عمرو بن الحصين يرثي أبا حمزة الشاري[1]:

١ ـ هبت قبيل تبلج الفجر ... هند تقول ودمعها يجري

٢ ـ إن أبصرت عيني مدامعها ... ينهلُّ واكفها على النحر[2]

٣ ـ أنّى اعتراك وكنت عهدي لا ... سرب الدموع وكنت ذا صبر

٤ ـ أقذى بعينكَ ما يفارقها ... أم عائرٌ أم مالها تذري[3]

٥ ـ أم ذكر إخوان فجعت بهم ... سلكوا سبيلهم على خبر

٦ ـ فأجبتها بل ذكر مصرعهم ... لا غيره عبراتها تمري[4]

٧ ـ يا رب أسلكني سبيلهم ... ذا العرش . واشدد بالتقى أزري

٨ ـ في فتية صبروا نفوسهم ... للمشرفية والقنا السمر[5]

٩ ـ تالله ألقى الدهر مثلهم ... حتى أكون رهينة القبر

١٠ ـ أوفي بذمتهم إذا عقدوا ... وأعفُّ عند العسر واليسر

١١ ـ متأهلين لكل صالحة ... ناهين من لاقوا عن النكر

١٢ ـ صمتٌ إذا احتضروا مجالسهم ... وزنٌ لقول خطيبهم وقر

١٣ ـ ألا تجيئهم فإنهم ... رُجُفُ القلوب بحضرة الذكر

١٤ ـ متأوهون كأن جمر غضا ... للخوف بين ضلوعهم يسري[6]

١٥ ـ تلقاهم ألاّ كأنهم ... لخشوعهم صدروا عن الحشر[7]

---

(١) هو رئيس فرقة الشراة (من الخوارج)، القصيدة من ديوان الخوارج جمع نايف معروف: ١٣٨.

(٢) الواكف: الدمع السائل.

(٣) القذى: ما يسقط في العين، والعائر الذي في عينه وجع، وتذري أي تسيل الدمع.

(٤) تمري: أي تسيل أيضاً.

(٥) المشرفية سيول منسوبة إلى مشارف وهي قرى من أرض العرب.

(٦) الغضا: جمع الغضا يبقى زمناً لا ينطفىء.

(٧) الألّ: الجأر إلى الله بالدعاء، والحشر: يوم القيامة.

١٦ ـ فهم كأن بهم جرى مرضٍ ... أو مسّهم طَرَفٌ من السِحر

١٧ ـ لا ليلهم ليل فيُلبسهم ... فيه غواشي النوم بالسكر(١)

١٨ ـ ألا كذا خلساً وآونة ... حذر العقاب وهم على ذعر(٢)

١٩ ـ كم من أخ لك قد فجعت به ... قوام ليلته إلى الفجر(٣)

٢٠ ـ متأوه يتلو قوارع من ... آي القرآن مفزع الصدر(٤)

٢١ ـ نصب تجيش بنات مهجته ... من خوف جيش مشاشة القدر(٥)

٢٢ ـ تراك مَا تهوى النفوس إذا ... رغب النفوس دعت إلى النذر(٦)

٢٣ ـ ومبرء من كل سيئة ... عف الهوى ذي مرة شزر

٢٤ ـ والمصطلي بالحرب يسعرها ... بغبارها وبفتية سعر

٢٥ ـ لا شيء يلقاه أسرّ له ... من طعنة في ثغرة النحر

٢٦ ـ منهارة منه تجيش بما ... كانت عواصم جوفه تجري(٧)

٢٧ ـ كخليلك المختار إذك به ... من مغتد في الله أو مسري(٨)

٢٨ ـ خواض غمرة كل متلفة ... في الله تحت العنبر الكدر

٢٩ ـ وابن الحصين وهل له شبه ... في العرف أنى كان والنكر(٩)

٣٠ ـ طلق اللسان بكل محكمة ... رآب صدع العظم ذي الكسر(١٠)

---

(١) غواشي: جمع غاشية وهو الغطاء، يريد به النوم.

(٢) الخلس، الفرصة، والذعر: الخوف.

(٣) قوام ليلته: كثير الصلاة ليلاً.

(٤) قوارع القرآن الآيات التي تنذر من عقاب يوم القيامة.

(٥) نصب: متعب، مشاشة القدر: جوفها.

(٦) ذو مرة شزر: صاحب قوة شديدة.

(٧) منهارة صفة للطعنة التي يتمناها الخارجي طريقاً للشهادة.

(٨) المختار هو أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي زعيم الأباضية الخوارج في العصر الأموي.

(٩) ابن الحصين هو علي بن الحصين أحد رجال أبي حمزة الخارجي.

(١٠) رأب: أصلح، والصدع الفطر والكسر.

٢٩ـ وابن الحصين وهل لـــه شبـــه
في العرف انىّ كان والنكر(٥١٢)

٣٠ـ طلـق اللســـان بكل محكمـــة
رآب صـــــدع العظم ذي الكسر(٥١٣)

٣١ـ وهم وســـاعر في الـــوغى رجـح
وخيـــــار من يمشي على العفر(٥١٤)

٣٢ـ حتى وفّـوا للـــه حيث لقـوا
يهـــود لاكـــذب ولاغـــدر

(٥١٢) ابن الحصين هو عملي بن الحصين احد رجال ابي حمزة الخارجي

(٥١٣) رآب : اصلح ، والصدع الفطر والكسر

(٥١٤) المساعر جمع مسعر وهو الشجاع في الحرب فكأنه يوقدها . العفر : التراب

عمر بن الحصين وشعر الخوارج

عمرو بن الحصين العنبري كان من رجال الخوارج وشعرائهم ادرك ابا حمزة الشاري قائد فرقة الشراة (من الخوارج) ورثاه بعد قتله .

لايشغلنا بدء حركة الخوارج ولا اسباب ظهورها هنا انما يشغلنا اشعار شعرائهم - وخاصة المراثي - لانها تصور حياتهم وتفكيرهم ، وحماسهم ... لقد اتخذ الخوارج طريق الحرب والجهاد والمعارضة للسلطة اي سلطة !! وعدّوا كل حكم غير حكمهم جائر فغالوا مغالاة كبيرة جعلتهم يتفانون في القتال والحرب والاستبسال . وتمني الشهادة ، ويظهر ادبهم صدق مشاعرهم ، وقوة ايمانهم ، والتزامهم بمبادئ الاسلام صوماً وعكوفا على القرآن وقياما الليل تعبدا وتهجدا ، وهم بتعبير آخر مؤمنون بالغوا في اختيار الطريق الموصل الى العدل فخطّأوا جميع الامة حاكمة ومحكومة .. لذلك خاضوا حروباً طاحنة أردت بالكثير منهم قتلا في ساحة المعارك ، ومع ذلك صورت اشعارهم صدق مواقفهم ، وقوة عقيدتهم التي تذكرنا بشعر الجهاد والعقيدة في ايام الدعوة الاسلامية .

ومن الممكن ان نتلمس ميزات اشعارهم من خلال مرثية احد شعرائهم وهو الحصين العنبري .

ان اهم ميزة من ميزات اشعار الخوارج هي انه شعر جماعة فتكاد الروح السائدة فيه ان تكون متشابهة مصورة لجماعة خاشعة تتمنى الشهادة في سبيل الله ، تخاف الله وتخشع قلوبهم لذكره ليلهم صلاة وعبادة ونهارهم جهاد وقتال ...

انه شعر بطولة جماعية صور فيه الشعراء بسالة الفرسان كما وجدنا في اشعار شاعراتهم من صورت حياتهم ايضا حتى تمنت ام حكيم - احدى النساء اللائي قمن بقيادة جيش الخوارج وقد حاربت الحجاج ودخلت الكوفة وصلت في مسجدها الجامع ، تمنت ام حكيم هذه الشهادة فقالت :

اصحب رأساً قد سئمت حمله
وقد سئمت دهنه وغسله
الا فتىً يحمل عني ثقله(٥١٥)

(٥١٥) ديوان الخوارج ٢٧

(٣) اما رثاء شعر الخوارج فهو رثاء عقيدة لاتجد الراثي فيه باكيا فراق المرثي ، متأسفا وانما نجد فيه تمنيا للحاق به ، والسير في طريقه طريق الشهادة ، وتصوير سيرة المرثي بانه التقي والورع الذي كان الموت في سبيل الله غاية مايتمناه ، ولانجد في رثاء الخوارج دموعا باكية على مصير المرثي بل تحس بفرحة الشهادة والثواب الذي يحاول الشاعر ابرازه على انه مصير المرثي وانه الطريق الذي اختاره عن وعيه وبأرادته وانه ايضا يتمنى ان يلقى مصيره وان يسير حذوه في القتال والحرب ...

التحليل

اتخذ الشاعر الحديث عن المرأة مطلعا لقصيدته فهي التي بادرت حزينة مستفسرة متعجبة من رؤيتها الدمع في عين الشاعر وهي التي عهدته شجاعا ثابت الجنان ، وتتساءل ماذا كان احساسه بالفجيعة هو سبب دمعه فيجيبها بأن مصرعهم وحده هو الذي ادمع عينيه لانه يتمنى ان يسلك سبيلهم ويدعو الله ان يجعله تقياً مثلهم ، والقصيدة كما ذكر في رثاء ابي حمزة الشاري لكن الشاعر هنا يرثي الجماعة الذين استشهدوا معه ويتمنى ان يلقى مصيرهم نفسه ولكنه لايريد شهادة مفردة وانما يتمنى ان ينالها مع فتية من مقاتليهم ايضا ...

الابيات ٨ ـ ١٨

يصف هؤلاء الفتية بانهم قد صبروا نفوسهم وعودوها على الرماح والسيوف لانهم فرسان اشداء ، فيقسم بالله ان يكون على عهدهم ويوفي بذمتهم حتى يلاقي حتفه ، وهم متأهبون لعمل الخير يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، قليلو الكلام ، واعون لقول قائدهم وخطيبهم ، واذا رأيتهم وجدتهم عاكفين على قراءة القرآن ، وقد اخذ الخوف مأخذه في نفوسهم فهم متأوهون من خشية الله وخوف عقابه ، وكأنهم يخشون ان يباغتهم الحشر والعذاب لذلك يقضون ليلهم ساهرين في قراءة القرآن وتدبر آياته .

الابيات ١٩ ـ ٣٢

يذكر اخوانه الذين فجع بهم ويعيد الاوصاف السابقة من عزوف عن الباطل ورغبة في الخير ، وتعفف عن الشر والسوء ، وشجاعة في الحرب ، ويعدد بعض اسماء القتلى الذين يرثيهم فيذكر ابا حمزة الشاري ، وابن الحصين وغيرهما مما يجعلنا نشعر ان القصيدة لم تنظم في رثاء

شخص وانما هي في رثاء جماعة ، وهي ليست بكاء وتحيبا بل تمجيد ودعوة الى اكمال مسيرتهم واحتذاء حذوهم ... ومادام الموت سبيل كل حي فحري بالمرء ان يسرع اليه بارادته مجاهدا مقاتلا طالبا رضا الله وطاعته ليلا ونهارا سلما وحربا .. وهكذا تتكرر صور الرثاء في شعر الخوارج حتى لتكاد شخصية الشاعر الراثي ان تكون مختفية في اطار الجماعة كما ان شخصية المرثي هي الاخرى متلاشية في اطار الجماعة التي تحمل السمات الاخلاقية والدينية ذاتها ... ولذلك وجدنا شعر الرثاء عند الخوارج اطول اشعارهم وماسواه من الاغراض الاخرى مقطوعات وابيات مفردة لان الشعراء استطاعوا من خلال الرثاء تصوير صدق عواطفهم وصدق تمثلهم لمواقف اصحابهم فصوروهم بصورة الانبياء الجاهدين الخاشعة قلوبهم خوفا من الله ، المسارعين الى ساحة الحرب رغبة في الموت والشهادة المطيلي النظر الى القرآن الكريم تدبرا لآياته واحكامه ، وبذا نستطيع القول ان رثاء الخوارج صورة لحياتهم كما ان تمنيهم الشهادة يقرب من صورة تمني الشعراء المسلمين للشهادة في صدر الاسلام واختفاء لوعة الحزن على فراق المرثي يمثل امتدادا للرثاء الاسلامي في صدر الاسلام الذي اكد فيه الشاعر الراثي ان مصير القتيل الشهيد هو الجنة الوارفة الظلال والثواب عند الله تعالى ...